الدلالة الزمنيّة للفعل

بن عودة بلقاسم
جامعة البليدة 2

مقدّمة:

الـزّمن والزّمـان: « اسـم لقليـل الوقـت وكـثيره »[1]. ويقصـد بـالزّمن والزّمـان العصـر أي الوقـت عامـة مـن أعـوام، فصـول، أشـهر، أيـام، سـاعات وغيرهـا، وجمعـه أزمِـنَ أزمـان» وأزمِنَـة » « والزمـان يقـع علـى فصـل مـن فصـول السّـنة وعلـى مـدّة ولايـة الرّجـل ومـا أشـبهه، وفي حـديث عـن الـنّبي صلى الله عليه وسلم انّـه قـال لعجـوز تخفّـى بهـا في السـؤال قـال: **كانـت تأتينـا أزمان خديجة** »[2]. أراد بها هنا وقتها أو حياتها.

وهـذا تعريـف شـامل؛ يقصـد بـالزمن في اللغـة: « الوقـت النّحـوي الـذي يعـبر عنـه بالفعـل وصـيّغه (مـاض, حاضـر ومسـتقبل) ومـا شـابهه، تعـبيرا لا يسـتند إلى دلالات زمنيـة فلسـفية. بـل يقـوم علـى اسـتخدام القـيم الخلافيـة فيـه بـين الصـيغ المختلفـة في الدّلالـة علـى الحقـائق اللغويـة »[3] وبتعـبير آخـر: « يقصـد بـالزمن الوقـت النحـوي الـذي نعبّـر عنـه بالفعـل المضارع والماضي. »[4]

لأنّـه لا وجـود للفعـل إلا والـزمن جـزءه ومعنـاه. فهـو (الفعـل) متضمنه ويعبّر عن أنواعه من خلال الصيّغ: ماض حاضر ومستقبل.

يشـكّل الـزّمن أحـد أهـم دعـامتين في هيكـل الفعـل، مـع الحـدث الـذي يجـري فيـه. فـلا يـأتي فعـل في جملـة إلا مـع الـزّمن، قـال صـاحب الكلّيّات عـن أهميـة الـزّمن ومعنـى مجيئـه في الفعـل:« إيـراد المسـند فعـلا، يـدلّ

على التّقيد بأحد الأزمنة وعلى أنّ ثبوته للمسند ليس ثبوتا دائما بل في بعض الأوقات »[5]. ويرى اللغويون أنّ أهمية الزّمن جعلتهم يفرّقون بين الفعل وعناصر الكلم الأخرى. وُجِدَ الزّمن لوجود فعل دال عليه متضمنا إيّاه بحال.

ومعنى مجيء الزّمن في الفعل، أنّ الحدث الذي يتضمنه يأتي في أحد الأوقات فلا نستطيع تصور فعل بلا زمن.

أ- التعبير بصيغة الفعل الماضي عن الزمن:

لقد سبق وأن عرّف النحاة الفعل بأنّه: « ما دل على معنى في نفسه مقترن بأحد الأزمنة الثلاثة وهي: الماضي الحاضر والمستقبل، وعلى هذا الأساس قسموا الفعل كذلك ثلاثة أقسام: ماضي مضارع وأمر»[6]

وهذا ما يوافق رأي تمام حسّان إذ يقول: « زمن الفعل يكون صرفيّا في الإفراد ونحويّا في السياق »[7]؛ مما يعني أن صيغة الفعل الماضي وضعت أصلا للدلالة على الزمن الماضي، أي أن الحدث وقع في زمن مضى وانتهى.

1- دلالة صيغة الفعل الماضي عن الزمن الماضي:

من البديهي أن صيغة الفعل الماضي تدل على الزمن الماضي المطلق إذا لم تقترن بها أدوات قد تخلّصها إلى زمن آخر، مثل: قد، الآن والساعة أو أدوات الشرط مثل: إن...الخ وهذه القرائن تحدد من السياق لا من الصيغة يقول سيبويه (148-180) حول صيغة الفعل الماضي ودلالتها الزمنية:« فأما بناء ما مضى:فذهب، وسمع، ومكث وحمد »[8]. فهاته الصيغ ذهب، سمع، وحمد تدل على الزمن الماضي المطلق. وقد تكون متبوعة بأظرفة دالة على الماضي، وهذا ما يسمى عنده بالمستقيم الحسن حيث قال: « فأما المستقيم الحسن فقولك: أتيتك أمس »[9].

فأتيتك تدلّ على الزمن الماضي وأمس كذلك، فالجملة إذن مستقيمة من حيث التركيب والمعنى، ويوافقه كلّ من الفرّاء، السيرافي

والمبرّد؛ ويضيف المبرّد إلى أن الماضي وضع للدلالة على الزمن الماضي سواءً كان مجردا أو مزيدا بحروف الزيادة.

نفس الاتجاه سار عليه النحاة المتأخرون، ولم يضيفوا إلا أشياء قليلة من حيث التنظيم، التبويب، التعليل وتوضيح المبهم. نجد منهم ابن السراج الذي يقول:« فقولك" صلّى زيد "يدلّ على أنّ الصلاة كانت فيما مضى من الزّمان »(10)

يضيف ابن جني (320/ 392هـ) قائلا: « فالماضي ما قرن به الماضي من الأزمنة نحو قولك: قام أمس، وقعد أول من أمس »(11). الفعل الماضي عنده وضع للدلالة على الزمن الماضي.

أما عبد القاهر الجرجاني (400-471) فقد كانت له وجهة نظر بلاغية من حيث وقوع الفعل الماضي ضمن تركيب لغوي، فصيغة الماضي عنده وضعت للزمن الماضي خاصة وللأزمنة الأخرى عامة، بوجود قرينة تدل على تلك الأزمنة.

من المتفق عليه عند جميع النحاة العرب أن صيغة" فعل" الماضية تعبر على أن الحدث تم وانقطع عمله في الماضي، وقد تخرج هاته الصيغة عن أصلها الذي جاءت من أجله لتعبر عن زمن آخر وذلك باقترانها بقرينة تفيد ذلك الزمن.

2 ـ دلالة الفعل الماضي عن زمن الحال:

علمنا أن صيغة الفعل الماضي جاءت للدلالة على الزمن الماضي، لكن عند اقترانها بقرينة من القرائن تنصرف إلى زمن الحال أو الاستقبال عند اقترانها ولقد أجاز الكوفيون والأخفش وقوع الماضي حالا. في حين أن البصريين لم يجيزوا ذلك إلا إذا اقترن الفعل "بقد " لان "قد" تقرب الماضي من الحال فقد تأتي ظاهرة نحو قوله تعالى: (وَمَا لَنَا أَلَّا نُقَاتِلَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَدْ أُخْرِجْنَا مِنْ دِيَارِنَا)(12)

وفي بعض الحالات تأتي مضمرة بمعني مقدرة نحو قوله تعالى: (أَوْ جَاءُوكُمْ حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ)[13]. **أي**: ضاقت صدورهم؛ يرى الفرّاء أن الآية فيها قد مضمرة والتقدير: « أو جاؤوكم حصرت صدورهم »[14]

وهذا باتفاق كل من الكوفيين والبصريين إلا أن هاته الأخيرة (البصرة) أضافت الآن أو الساعة مثل: « قد قام زيد الآن أو الساعة »[15]. لأن "قد" تقرّب الماضي من الحال.

وقد وصف تمام حسان الماضي:« بالماضي المنتهي بالحاضر »[16]. كما يرى وليام ورايت إلى أن: « قد فعل تشير دلالتها إلى وقوع الفعل قبل زمن التكلم »[17](w.Wright) ، بمعنى وقوع الحدث التام في الماضي القريب.

أما في أسلوب النفي نجد صيغتي (ما فعل) وان (فعل) تدل على معنى الماضي القريب أو المنتهي بالحاضر كما يرى تمّام حسّان.

فأداة النفي (ما) شبيهة (بليْس) التي تنفي الحال؛ وهي تدخل على الاسم كما تدخل على الفعل: « ألا ترى أنك تقول: ما زيد قائم وما يقوم زيد »[18] فهي تنفي المضارع كما تنفي الماضي نحو(ما قام زيد).

وجاءت ما النافية لتدل على الاستقبال نحو قوله تعالى: **(وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَى عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ)**[19]

فما أغنى جاءت لتدل على الماضي بالنسبة للمستقبل البعيد (الدار الآخرة).

« أما مذ ومنذ. وأصلهما من ذو " وقيل: من إذ، وقيل: من ذا »[20] « ومعناهما الأبد في الحاضر، ومعدود، وأول المدة في ماضي

»[21]. فهي تدخل على الحاضر وعلى الماضي البعيد. ومذ أصلها منذ ويليها اسم مرفوع نحو: **مذ يومُ الخميس**.

وتدل صيغة" فعل" على الحال إذا ورد فيها تركيب إنشائي نحو: **بعت واشتريت**، وغيرها من ألفاظ العقود ويؤكد أن السيوطي بقوله: « قد ينصرف الفعل الماضي للدلالة على الحال، وذلك إذا قصد به الإنشاء كعبت واشتريت وغيرها من ألفاظ العقود إذ هو عبارة عن إيقاع معنى بلفظ يقارنه في الوجود »[22].

بمعنى قد يدل الماضي على الحال بالإنشاء. وهناك "كم" ومنها الاستفهامية التي تطلب جوابا وكم الخبرية التي لا تطلب جوابا، وإنما جيء بها الإخبار عن عدد كثير أو المبالغة في الشيء والافتخار« وهي اسم بسيط وضعت مبهمة تقبل قليل العدد وكثيره »[23].

فهي تقع مبتدأ كما تقع خبرا للمبتدأ نحو: كم دراهمك؟ وتقع ظرفا نحو: كم يوما صمت كما تقع مفعولا معه.

3 ـ دلالة الماضي على زمن الاستقبال

تنصرف صيغة الفعل الماضي للدلالة على الاستقبال بوجود قرينة تدل على ذلك، فاستعملها النحاة في تراكيب لغوية كثيرة منها:(**أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ**)[24] بمعنى سيأتي.

يقول الحطيئة:

شَهِدَ الحُطَيئَةُ حِينَ يَلْقَى رَبَهُ أَنَّ الوَلِيدَ أَحقُ بالعُذْرِ

« ويريد: ليشهد لأنه قال: حين يلقى ربه ولم يلقه بعد »[25] والأمثلة كثيرة في هذا السياق لا يمكن حصرها.

« والتعبير عن المستقبل بلفظ الماضي، تنبيها على تحقق وقوعه وأن ما هو للوقوع كالواقع »[26]، نحو قوله تعالى:(**وَنَادَى أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ**)[27] أي جعل المتوقّع الذي لابدّ من وقوعه بمنزلة الواقع.

ونجد النحاة اهتموا كثيرا بظاهرة دلالة الفعل الماضي على الاستقبال مع اشتراط أدلة توضّح ذلك منها:

أ- تنصرف صيغة فعل للدلالة على الاستقبال إذا اقترنت بدليل وهو الإخبار عن الأمور المستقبلة مع قصد القطع بوقوعها وكأنها وقعت فعلا وهذا ما يفيده السياق اللغوي، قال أبو عبيدة (ت 210 هـ) : « إن العرب قد تضع "فَعَلْنَا" في موضع "نَفْعَلُ" »(28)

ويمثل ذلك بقوله تعالى: **(أَرْسَلَ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ)** (29) أي نسوقه والأمثلة كثيرة في القرآن الكريم لحتمية وقوع الحدث، فأبو عبيدة يعتبر أن جلّ صيغ الماضي التي جاءت في القرآن والشعر بدلا من المضارع وردت على غير أصلها.

ب- وتأتي أيضا صيغة فعل للدّلالة على الاستقبال بغرض الإنشاء كالدعاء نحو: غفر الله لك، رحمك الله، أوعدا نحو قوله تعالى : **(إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ)** (30) وقال سيبويه: « اعلم أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي... تقول: زيدا قطّع الله يده... ومعناها: زيد ليقطع الله يده...» (31)

الأمر والنهي يختصان بالزمن المستقبل عند سيبويه واستعمل سيبويه الماضي الدال على الاستقبال لأنّه أبلغ في الوقوع من المضارع المشكوك في وقوعه (قطع مضارعه ليقطع) مجزوم بلام الأمر؛ فزمن الاستقبال هنا ليس زمن صيغة الماضي المجردة، وإنّما هو زمن جملة الدعاء.

ج- كما تدخل أغلب أدوات الشرط على صيغة الفعل الماضي للدلالة على الاستقبال.

قال الشاعر:

إن يسمعوا ريبةً طاروا بها فرحًا مني وما يسمعوا من صالح دفنوا

(32)

طاروا بمعنى يطيروا، دفنوا بمعنى يدفنوا.

وبدخول "إن" الشرطية على الفعل تنفيه كما تنفي الاسم، فتدل على الزمن الماضي وقد تدل على زمن آخر يفهم من السياق، ويقول الفراء في تفسيره

لقوله تعالى: **(وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ)**[33]. « فأجيبت "لئن" بما بجاب له "لو" في المعنى ماضية "ولئن مستقبلية؛ ولكن الفعل ظهر فيهما بـ" فعل فأجيبتا بجواب واحد، وشبّهت كل واحدة منها بصاحبتها»[34]

د- إذا كان منفيا بـ"لا" في جواب القسم، نحو: **والله لا فعلت، والله إن فعلت**، فلا يلزم تكرار "لا" كما في الماضي الأصلي.

هـ- كما تدل صيغة الماضي على الاستقبال مع "ما" النائبة عن الظرف نحو قوله تعالى: **(وَكُنْتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَا دُمْتُ فِيهِمْ)**[35]. أي: « كنت عليهم شهيدا مدة دوامي فيهم »[36].

1- 2- كما تحمل صيغة الفعل الماضي الزمن الماضي أو الاستقبال أو الاستمرار، ويعرف ذلك من خلال السياق بعد:

أ- همزة التسوية بتضمنها معنى الشرط عند أغلب النحاة نحو: سواء عليهم أقمت أم قعدت، لأنها ما كان منك من قيام أو قعود، أو ما يكون منك من قيام أو قعود، « على أنّه إذا كان الفعل بعد "أم" مقرونا بـ"لم" تعين المضي »[37]

نحو قوله تعالى: **(وَسَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَأَنْذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنْذِرْهُمْ)**[38]. « لأن الثاني ماض معنى فوجب مضي الأوّل، لأنّه معادل له »[39] فالفعل الماضي بعد همزة التسوية قد يحتمل الماضي أو الاستقبال أو الاستمرار وذلك إذا توفرت فيه قرينة.

وتأتي بعد "حيثما" و"كلما" ودلالتها على الاستقبال تكون مع إفادة معنى الشرط معهما. نحو قوله تعالى: **(كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا)**[40]

فكلما هنا تفيد الماضي مع الاستقبال. كما تحتمل الاستمرار وقد تفيد الاستقبال نحو قوله تعالى: **(كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَّلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا)**[41]

أما "حيث" فهي تدل على الماضي في قوله تعالى:(فَأْتُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ أَمَرَكُمُ اللَّهُ)[42]. وتدلّ على الاستقبال نحو قوله تعالى (**وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**)[43].

ج- بعد حرف التحضيض «نحو هلا فعلت إذا أردت المضي فهو توبخ»[44]. نحو قوله تعالى: (**فَلَوْلَا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَقِيَّةٍ**)[45] إذا دل علا استقبال فهو أمر نحو قوله تعالى: (**فَلَوْلَا نَفَرَ**)[46]. بمعنى لينفر

د- إذا وقع الفعل الماضي صلة لموصول عام مبتدأ؛ فقد يقع ماضيا نحو قوله تعالى: (**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ**)[47]. أما الاستقبال نحو قوله تعالى: (**إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ تَقْدِرُوا عَلَيْهِمْ**)[48]. وقد اجتمعا الماضي والمستقبل معا في قول السيوطي: « وإني لآتيكم تشكرَ مَا مَضَى من الأمر واستيجابَ ما كان في غدِ »[49].

ما مضى تدل على الزمن الماضي وما كان أوقع الماضي موضع المستقبل والتقدير ما يكون في الغد.

هـ - ويحتمل الفعل الماضي الدلالة على الماضي والاستقبال إذا وقع صفة لنكرة عامة نحو قوله صلى الله عليه وسلم: « نضّر الله أمرأ سمع مقالتي فوعّاها فأدّاها كما سمعها»[50] بمعنى أمرأ يسمع مقالتي؛ « لأنّه ترغيب لمن أدرك حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وحفظ ما يسمعه منه »[51]

أما "من" فهي حرف شرط تدل على الزمن المستقبل فقد:«تجزم فعل الجواب إذا كان مضارعا»[52]. كقوله تعالى: (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ**)[53]

أما من الاستفهامية فقد وردت كثيرا في القرآن الكريم بأساليب مختلفة منها التقرير، والإنكار...الخ. نحو قوله تعالى: (**مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ**)[54].

هنا دلت على الزمن الماضي وقد ترد دالة على الاستقبال، نحو قوله تعالى: (**فَمَنْ يُجَادِلُ اللَّهَ عَنْهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَمْ مَنْ يَكُونُ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا**)[55].

وكذلك لدينا مهما وردت دالة على الاستقبال: « وهي ترد حرفا بمعنى إن »[56].

وممّا تقدّم يتأكد لنا أنّ صيغة الفعل الماضي وضعت أصلا للدّلالة على الزّمن الماضي، وقد تنحرف هذه الصيغة للدّلالة على زمن آخر كالحال والاستقبال.

وهذا الانحراف لا يكون في الصيغة الافرادية الصرفية، وإنّما نتيجة تركيبية لغوية، وضعها النّحاة للدّلالة على الزّمن، الحال أو المستقبل.

ب-التعبير بصيغة الفعل المضارع عن الزّمن :

يعبّر عن صيغة الفعل المضارع بزمني الحال أو الاستقبال, وتأتي صيغة يفعل مجردة من الأدوات التي تخلصها من الزمن أخر وعرف الفعل المضارع بأنه: « الحدث الذي جرى وقوعه عند التكلم واستمر واقعا »[57]. ويأتي معربا بخلاف الفعل الماضي الذي يبنى.

وقد شابه الفعل المضارع اسم الفاعل في الشكل والمعنى، ويقول في هذا الصدد سيبويه : « إنما ضارعت أسماء الفاعلين أنّك تقول: إن عبد الله ليفعل فيوافق قولك لفاعل حتى كأنك قلت إن زيدا لفاعل فيما تريد من المعنى, وتلحقه هذه اللام كما لحقت الاسم »[58]. فالمضارع يشبه اسم الفاعل في الحركات والسكنات وعدد الحروف أربعة في كل من (يفعل وفاعل)خاصة إذا كانت صيغة اسم الفاعل نكرة منوّنة.

وللنحاة أقوال كثيرة حول دلالة صيغة الفعل المضارع على الزمن، فمنهم من يقول أنّها تدل على زمن الحال والاستقبال بوضعها الأصلي، ومنهم من يقول أنها تدل على الماضي بقرينة اللفظية أو المعنوية،

في حين يقول رأي آخر أنه يترجح للدلالة على الحال إذا كان مجردا من القرائن اللفظية أو المعنوية.

وينحرف الفعل المضارع للدلالة على زمن آخر بعكس ما وضع عليه في الأصل ليدل على الزمن الماضي إذا اقترن بـ" لم " وإذا كان خبرا لكان وأخواتها، ومع "لو " و"لما " الشرطيتين وكذلك إذ وربما.

ج ـ دلالة الفعل المضارع على الزمن الماضي:

كما ينصرف الفعل المضارع للدلالة على الزمن الماضي وذلك بقرائن تخلصه لذلك الزمن نحو:" لم، ولمّا "، لو الشرطية، إذ، ربما، وقد للتقليل، لكان، لم الجوابية. وقيل:«أنّ المضارع كان ماضيا فغيّرت صيغته»[59]. فالزمن هنا زمن الأداة مع صيغة المضارع بمعنى سرد الأحداث الماضية بصيغة المضارع وبحذف هاته الأداة يتغير المعنى، وهذه الأدوات هي:

أ- لم ولّما هما حرفا نفي وجزم وقلب الفعل المضارع من دلالته على زمني الحال والاستقبال إلى الّزمن الماضي، نحو قوله تعلى: (وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ)[60]. بمعنى« لم يكن ليهلكهم وهم مصلحون»[61]. وكذلك الأمر بالنسبة لـ" لّما " .

ب- مع خبر كان وأخواتها، نحو قوله تعالى: (وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ)[62]، حيث يقول إبراهيم السامرائي:« كان وأخواتها: ما زال، أضحى، أمسى، وصار وسائر الأفعال الأخرى في صيغة "يفعل" وذلك لسرد أحداث ماضية ... نحو: كان يتصدق على الفقراء...»[63]

ج- مع "لو" و"لّما" الشرطيتين كقوله تعالى:« لو يطيعكم في كثير من الأمر لعنتّم »[64].

أما لّما فاشترطوا كون فعلي الشرط والجواب ماضيين نحو قوله تعالى: **(فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ)**[65].

د- مع "إذ" وهي « للوقت الماضي، وللمستقبل في الأصح...» [66]. وقد تأتي مضافة لجملة اسمية وفعلية، كما تفيد التوكيد والتحقيق كـ "**قد**".

هـ- مع ربّما التي أصلها ربّ وتفيد التقليل كما تفيد التكثير، ولا تدخل على الأفعال إلا مع (ما)، مثل: **ربّما قام زيد**.

و- سرد الأحداث الماضية بصيغة المضارع للدلالة على الزمن الماضي، نحو قوله تعالى: **(فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ)** [67]. ويقع الفعل المضارع للدلالة على الأحداث الماضية، إذا كانت هاته الأحداث غير مشكوك في وقوعها مستقبلا.

ومنه جاءت صيغة الفعل المضارع تدل على الأزمنة الثلاثة، فهي تدل على الحال والاستقبال بوضعها الأصلي، كما تدل على الحال بقرينة ومع الاستقبال كذلك، وعلى الماضي بقرينة لفظية أو معنوية.

نجد سيبويه (148 - 180 هـ) ومن تبعه يعتبرون صيغة المضارع وضعت أصلا للدلالة على الحال والاستقبال، فيقول : « وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك... مخبرا: يقتل، يضرب ويذهب، يقتل ويضرب. وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت »[68]. وهذا البناء يكون مجردا من جميع القرائن واللواحق التي قد تخلصه إلى زمن آخر.

ويدل على الاستقبال بدخول السين أو سوف، وهذا ما يسمى عند سيبويه بالمستقيم الحسن ونقيضه المحال الكذب، وسبق التطرق إليهما .

ويقول أبو العباس المبرّد (210-285 هـ) في المضارع: « وهذه الأفعال المعربة تقع لا يعرف وقتها ما كان منه للحال، وما يكون منه في الاستقبال »[69]. فهو يرى أنّه لا فرق بين زمن الحال وزمن المستقبل. ويضيف المبرد بأن الفعل المضارع تلحقه السين أو سوف مع الاستقبال أو اللام مع الحال.

رغم ما قيل عن الحال إلا أنّه يبقى فضاء غير محدود، حتى أنهم اعتبروه غير موجود، والزمن إمّا ماض أو مستقبل. ويؤكد ذلك أبو القاسم الزجاجي (ت 337هـ): « الفعل على الحقيقة ضربان كما قلنا ماض ومستقبل، فالمستقبل ما لم يقع بعد. ولا أتى عليه زمان. ولا خرج من العدم إلى الوجود. والفعل الماضي ما انقضى وأتى عليه زمان لا أقل من ذلك: زمان وجد فيه وزمان خبر فيه عنه »[70].

ويقول عن الحال: « فهو المتكوّن في حال خطاب المتكلم، لم يخرج إلى حيّز المضي والانقطاع ولا هو في حيّز المنتظر، الذي لم يأتي وقته...»[71]. رغم أنّه يساند من سبقوه من النّحاة إلاّ أنّه يقرّ بوجود زمن الحال بضّمه لزمن المستقبل.

ويعبر النّحاة عن زمن الحال بأنّه نقطة التّمييز بين الماضي القريب والمستقبل البعيد. وأن الحال فسحة قصيرة عكس الماضي والمستقبل.

أ- ينصرف الفعل المضارع للدّلالة على الحال إذا كان مجّردا من كل قرينة تخلصه لغيره من الأزمنة الأخرى أما إذا دخلت عليه قرائن دل على الاستقبال مثل السين وسوف وهذا ما يؤكده ابن السراج (ت 316هـ) بقوله: « إذا قلت سيفعل أو سوف يفعل دلّ على أنّك تريد المستقبل وترك الحاضر على لفظه لأنّه أولى به إذا كانت الحقيقة إنما للحاضر الموجود لا لما يتوقع أو قد مضى »[72]

ويرى الرضيّ: « أنّ صيغة الماضي تدل على الزمن الماضي، والمستقبل على صيغة الأمر والحال، تدل على صيغة المضارع كما قد تدّل على المستقبل بقرينة» [73]وتكمن هاته القرائن الدّالة على الحال في الآن، الساعة، والحين، وأدوات النّفي مثل: ليس، ما، إن، ولام الابتداء.

ب- كما ينصرف الفعل المضارع للدّلالة على زمن المستقبل ويأتي كذلك مجرّدا من أية قرينة تخلّصه لزّمن آخر شأنه شأن الحال نجد المبرد يقول في هذا الشأن :« تقول : زيد يأكل، فيصلح أن يكون في حال أكل وأن يأكل فيما يستقبل»[74] وهذا باتفاق جمهور النحاة في صلاحيته

للدلالة على الحال والاستقبال مجردة من كل الأدوات وقد يدل على زمن الاستقبال بقرينة مخلصة له، نحو: ظرف مستقبل كغد وما كان في معناها (بكرة وغدوة)، كقوله تعالى:

(أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ)[75]. فلفظة غدا تدل على زمن الاستقبال . لأنّها ظرف مستقبل.

ويدلّ على الاستقبال إذا أسند إلى خبر متوقع حدوثه في المستقبل نحو قوله تعالى: **(وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا)**[76] فالفعل « نحشر» يفيد زمن الاستقبال. لأنّه دل على توقع الخبر في المستقبل. لأن الآية تفيد توقع الجزاء والعقاب يوم القيامة، وهذا في زمن المستقبل .

كما تقترن ب «قد» التي تفيد التوقع والتقليل بدخولها على المستقبل نحو قوله تعالى: **(قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ)**[77] وهي هنّا لتوكيد العلم معنى «وما هم عليه هو أقل معلوماته[78].

يأتي الفعل المضارع دالا على الاستقبال مع الأمر، النهي، الدعاء، والتحضيض.

1- **الأمر**: لأنه لا يكون إلا من المستقبل ويقول سيبويه: « وأما بناء ما لم يقع فانه قولك أمرا: اذهب واقتل واضرب »[79] كما يورد في أغلب الأحيان مقرونا بلام الأمر الدالة على الاستقبال نحو قولنا: ليفعل زيدا.

2- **النهي**: لأنه كالأمر من حيث الدلالة الزمنية ويقترن الفعل المضارع مع لا الناهية فيدل على الاستقبال نحو قوله تعالى: **(لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ)**[80]

فالفعل يغرنك دال على الاستقبال ما دامت البشرية في هذه الحياة الدنيا.

3- الـدعاء: والـدعاء يـدل علـى الاسـتقبال نحـو قولـك : « لا يقطـع الله يمينـك وليجزيـك الله خـيرا»[81]. وكـل دعـاء هـو اسـتقبال ماضـيا كـان أم مضارعا.

4- **مـع أدوات العـرض والتحضـيض**: نحـو:« هـلا، لـولا، لومـا، ألا »[82]. لأن هاتـه الأدوات تفيـد التحضـيض والأمـر، والأمثلـة كـثيرة، نـذكر منها فقط قوله تعالى: **(فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ)** [83] وكذلك لوما تقوم...الخ.

5- وتـأتي مـع نـوني التوكيـد الخفيفـة والثقيلـة، ولام جـواب القسـم فأمـا نـون التّوكيـد الخفيفـة كقولنـا: والله لأفعلـن، والثقيلـة كقولنـا: أقسـم لأفعلـن. « وقـد تـرد لام القسـم بـدون نـوني التوكيـد نحـو قولنـا: إنّ زيـدا ليضـرب وليذهب...» [84]

6- كذلك يأتـي الفعل المضارع دالا على الاستقبال إذا اقتضى وعـدا، كقولـه تعالى:« يعذّب من يشاء ويغفر لمن يشـاء»[85] لأنّ هاتـه الصـيغ (يعـذب، يشـاء، يغفر) دلت على الاستقبال وباحتمالها وعدا بمعنى ستقع إن يشاء الله ذلك.

7- مع لا النافيـة عنـد أغلـب النحـاة. "ولـن" اتفاقـا، وجـاءت"لا "نافيـة للفعـل المضارع الذي لم يقع بعـــد. نحـو قولـه تعـالى:**(وَلَـا يَتَمَنَّوْنَـهُ أَبَـدًا بِمَـا قَـدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ)** [86]. أمّا "لن" نحـو قولـه تعـالى:**(وَلَـنْ يَتَمَنَّـوْهُ أَبَـدًا بِمَـا قَـدَّمَتْ أَيْـدِيهِمْ)** [87].

8- كـذلك يـأتي الفعـل المضـارع دالا علـى الاسـتقبال مـع حـرفي التنفـيس "السـين" و"سـوف" « فالسـين كقولنـا: سـأذهب، سأضـرب. أمّـا سـوف كقولـــه تعالى: **(وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى)** [88].

9- مع الترجـي " لعـل و"عسـى" والـتمني كليـت نحـو قولـه تعـالى: **(يَـا لَيْتَنِـي كُنْتُ مَعَهُمْ فَأَفُوزَ فَوْزًا عَظِيمًا)** [89]

10- مـع أدوات الشـرط مثـل: إن الشـرطية، كيفمـا، مـن. كقولنـا:«...مـن يأتيني ويكرمني آته...» [90].

11- مع أدوات النصب مثل : أن، لن، إذا، كي، حتى، واو المعية التي تنصب بعدها الفعل المضارع والفاء السببية، ولام التعليل الدالة على الاستقبال. لقول سيبويه :« اعلم أنّ هذه الأفعال لها حروف تعمل فيها فتنصبها»[91]. فبدخول أدوات النصب على المضارع تخلصه إلى زمن الاستقبال، نحو قوله تعالى: **(وَمَا كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ أَنْ يُفْتَرَى)**[92] فالفعل المضارع"يفترى"دلّ على الاستقبال بدخول أن الناصبة عليه . وكذلك مع أو التي تنصب الفعل المضارع بعدها. وتأتي بمعنى"إلاّ" في الإنشاء و(إلى أن).

3- التعبير بصيغة الأمر عن الزمن:

سبق لنا أن عرفنا فعل الأمر أنه: «فعل يطلب به القيام بنفس الفعل في الحين أو في المستقبل»[93]. وأصل الأمر لتفعل وحذفت لام الأمر وحرف المضارع للتخفيف. « فالأمر ضد النهي، فكما يأتي فعل النهي معربا مجزوما "لا تفعلْ"، فكذلك فعل الأمر "افعلْ"»[94]. فان « كان الأمر صادرا من الأعلى إلى دونه فهو أمر وان كان من نظير إلى نظير فهو طلب وان كان من الأدنى إلى الأعلى مقبل له الدعاء»[95]. ونعني بالدعاء الله سبحانه وتعالى لأنّه صاحب هذه المرتبة العليا نحو قولنا "استجب يا رب إلى صلاتي"[96].

أحدثت صيغة فعل الأمر تضاربا في وجهات النظر بين البصريين والكوفيين، فهي عند البصريين مشتقة من الفعل المضارع بعد حذف أحرف المضارعة (أنيت)، فهي عندهم (صيغة افعل)، قسم قائم بذاته حيث تبنى على ما يجزم به مضارعها، فأصبحت تدل على الاستقبال لأنها: « بناء ما لم يقع »[97]. كما عرفها سيبويه.

أمّا عند الكوفيين فهي مقتطعة من الفعل المضارع، وليست قسما قائما بذاته، فهي تخضع لشروط وأحكام المضارع، لكنها تختلف معه بأنّها

وضعت لطلب الإنشاء. وهذا ما أكده الفراء في تفسير قوله تعالى: (...فَبِـــذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا)[98]، أي فافرحوا.

ومنه نستنتج أن فعل الأمر وضع للدلالة على زمن الاستقبال، حسب ما ذهب إليه النحاة القدامى.

أمّا عند المحدثين فمنهم من يرى أنّ فعل الأمر يدل على المستقبل، ومن بينهم عبد الصبور شاهين، الذي يقول: « الأمر يعني الطلب، وهو لا يكـون إلا في المسـتقبل أي: أنّ الدلالـة الزمنيـة في لقـب الأمـر التزاميـه »[99]. وهناك من يرى أنّ فعل الأمر يدل على الحال والاستقبال، كقول تمام حسان: « فالحال أو الاستقبال هما معنى الأمر، بصيغة والأمر باللام »[100]. في حين يرى البعض الآخر أنه يدل على الحال فقط. كما عبر عنه إبراهيم أنيس بقوله: « ولما رأى نحاة العرب ثلاث صيغ للفعل، يختص كل منها بزمن من تلك الأزمنة الثلاثة، وجعلوا الفعل المسمى بالماضي لكل حدث مضى، وانتهى أمره ...، كما جعلوا الأمر للزّمن الحالي...»[101].

وخلاصة القول أنّ الحجج التي جاء بها النحاة الأوائل تبدو صائبة، أكثر منها عند النحاة الجدد. ونستنتج ممّا سبق كله أنّ صيغ الأفعال الثلاثة وضعت أصلا للدلالة على الأزمنة الثلاثة التي جاءت من أجلها. إلاّ أنّ هاته الأزمنة قد تخرج عن صيغتها التي وضعت للدلالة عليها، فتنحرف عن مسارها لتعبّر عن أزمنة أخرى، مثل ما سبق وذكرنا.

خاتمة:

وفي نهاية هذا البحث المتواضع نخلص أن الفعل العربي ماضيا كان أو حاضرا أو مستقبلا، لا يدل على الزّمن بصيغته، وإنّما يأتي الزّمن من فياء الجمل أو من السّياق، أي أنّ الصيغة لا تدل دائما على دلالتها الزّمنية الأصلية، وإنّما في حالات كثيرة تخرج وتفرغ وتتحرف عن المسار المرسوم لها، سواء أكانت مجردة من الأدوات أو مقترنة بها.

ومنه ندرك أنّ اللغة العربية تتمتع بقدرة خارقة في التعبير حيث يمكن التعبير بالفعل الماضي عن المستقبل، وبالفعل المضارع عن الماضي وذلك في ظروف معينة، ومع أدوات لها القدرة على تغيير المعنى الزمني للصيغة الصرفية.

ومنه فالدلالة الزّمنية لا نطلبها من نوع الصيغة الصرفية، وإنّما ننشدها من السّياق الإجمالي للجملة أو التركيب، وهذه خاصية امتازت بها لغة القرآن الكريم، ساعدت على سعة مجال العربية في التعبير.

الهـــــوامش:

- القرآن الكريم (رواية حفص عن نافع).

[1] – لسان العرب المحيط ،ابن منظور، قدم له عبد الله العلايلى، دار الجيل بيروت، المجلد الثالث، د- ط، 1408، 1988، ص 48-49.

[2] – المرجع السابق ص48.

[3] – زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه و جهاته، عبد الجبار توامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون- الجزائر، د- ط، 1944، ص01.

[4] – مناهج البحث في اللغة، تمام حسان، مطبعة الرسالة، مصر، الطبعة الأولى، د- ت، ص 211.

[5] – زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته، عبد الجبّار توامة، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون- الجزائر، د-ط، 1994 م. ص1.

[6] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية بن عكنون- الجزائر، د-ط، 04-09-1975م، ص34.

[7] – اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة، الطبعة الثالثة، عام 1418 هـ، 1998م، ص102.

[8] – الكتاب، سيبويه، تحقيق وشرح هارون عبد السلام، مكتبة الخانجي، القاهرة، الطبعة الثالثة، 1998 م.،ج 1/ 25.

[9] – المصدر السابق،ج1/ 25.

[10] – التعبير الزمني النحاة العرب ,عبد الله بوخلخا , ص 49.

[11] – المرجع السابق ,ص 49.

[12] – البقرة:246.

[13] – النساء: 90.

[14] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص52.

[15] – الإنصاف في مسائل الخلاف، كمال الدين الأنباري، المكتبة العصرية، بيروت، د – ط، عام 1414- 1993، ج1/ 254.

[16] – اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص245.

[17] – زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته، عبد الجبار توامة، ص84.

[18] – كتاب أسرار العربية، كمال الدّين الأنباري، تحقيق فخر صالح قدارة، دار الجيل، بيروت، ط1 ،1415هـ/ 1995، ص140.

[19] – الأعراف: 48.

[20] – همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، تحقيق أحمد شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت-لبنان، ط1 1418هـ/ 1998، ج2 / 153.

[21] – المرجع السابق، ج2 / 163.

[22] – المرجع السابق، ج 1 / 37.

[23] – المرجع السابق، ج 2/ 501.

[24] – النحل:01.

[25] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص 54.

[26] – الإيضاح في علوم البلاغة، الخطيب القز ويني، شرح وتعليق وتنقيح محمد عبد المنعم خفاجي، مكتبة كلية الأزهرية، القاهرة، ط2، د-ت، ج2/ 96.

[27] – الأعراف: 48.

[28] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص56.

[29] – فاطر: 09.

[30] – الكوثر:01.

[31] – الكتاب، سبيويه، ج1/ 142.

[32] –التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص59.

[33] – البقرة: 145.

[34] – الزمن في القرآن الكريم، دراسة دلالية للأفعال الوارثة فيه، بكري عبد الكريم، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، الطبعة الثانية، 1999م، ص55.

[35] – المائدة: 117.

[36] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص60.

[37] – همع الهوا مع، جلال الدين السيوطي، ج1 / 38.

[38] –البقرة: 06.

[39] – همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، ج1/ 38.

[40] – البقرة: 25.

[41] – النساء: 56.

[42] – البقرة: 222.

[43] – البقرة: 149.

[44] – همع الهوا مع، جلال الدين السيوطي، ج1/ 38

[45] –. هود :116

[46] – التوبة:122.

[47] – آل عمران 173.

[48] – المائدة: 34.

[49] – همع الهوا مع، جلال الدين السيوطي، ج1/ 38.

[50] – المرجع السابق، ج1/ 39.

[51] – المرجع السابق، ج1/ 39.

[52] – بناء الجملة العربية، محمد حماسة عبد اللطيف، دار الغريب، القاهرة، د– ط، 2003، ص212.

[53] – الشورى: 20.

[54] – الأنبياء: 59.

[55] –النساء: 109.

[56] – همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، ج2/ 451.

[57] – الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السّمرائي، مؤسسة الرسالة، بيروت، الطبعة الثالثة، عام 1983م، ص32.

[58] – الكتاب، سيبويه، ج1/ 14.

[59] – همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، ج1/ 32.

[60] – هود: 117 .

[61] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص118.

[62] – البقرة: 75 .

[63] – الفعل زمانه وأبنيته، إبراهيم السمرائي، ص30.

[64] – الحجرات: 07.

[65] – الإسراء: 67.

[66] – همع الهوامع، جلال الدين السيوطي، ج2/ 126.

[67] – البقرة: 91.

[68] – – الكتاب، سيبويه، ج1/ 12.

[69] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص 73.

[70] – الإيضاح في علل النحو، الزجاجي، ص86.

[71] – المرجع السابق، ص87.

[72] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص81.

[73] – المرجع السابق، ص79.

[74] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص84.

[75] – يوسف: 12.

[76] – الإسراء: 97.

[77] – النور:64.

[78] – زمن الفعل في اللغة العربية قرائنه وجهاته، عبد الجبار توامة، ص14.

[79] – الكتاب، سيبويه، ج1/ 12.

[80] – آل عمران، 196.

[81] – الكتاب، سيبويه، ج3/ 08.

[82] – المصدر السابق، ج1/ 98.

[83] – الواقعة: 70.

[84] – الكتاب، سيبويه، ج3/ 109.

[85] – المائدة: 40.

[86] – البقرة: 95.

[87] – الجمعة: 07.

[88] – الضحى: 05.

[89] – النساء: 73.

[90] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص 98.

[91] – الكتاب، سيبويه، ج3/ 05.

[92] – يونس: 37.

[93] – مفاتيح اللغة العربية ، بوعلام بن حمودة، ص65– 66.

[94] – الإنصاف في مسائل الخلاف ،أبو البركات الأنبا ري، ج2 / 528 .

[95] – الزمن في القرآن الكريم، بكري عبد الكريم، ص 74 .

[96] –الكتاب سيبويه، ج1/ 12.

[97] – القواعد الذهبية لإتقان اللغة العربية في النحو والصرف والبلاغة، نبيل راغب، دار غريب، القاهرة، د–ط، د–ت، ص

[98] – يونس: 58.

[99] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص 145 .

[100] – اللغة العربية معناها ومبناها، تمام حسان، ص 250.

[101] – التعبير الزمني عند النحاة العرب، عبد الله بوخلخال، ص145.